﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٣٨﴾ [الرّوم: 38]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الانتقالُ من ذِكر بَسْط الرِّزقِ وقَدْره إلى أسبابِ بَسْطه

لَمّا ذكرتِ الآية السّابقةُ أنَّه تعالى هو الباسِطُ القابِضُ، وجعَلَ في ذلك آيةً للمُؤمنين؛ أمَر نبيَّه بالإحسانِ لِمَن به فاقةٌ واحتياجٌ؛ لأنَّ مِن الإيمانِ الشَّفَقةَ على خَلقِ الله؛ إذِ الإيمان تَعظيمٌ لأمرِ اللهِ، وشَفَقةٌ على خَلقِ اللهِ[1]، فخاطبَ مَن بَسَط له الرِّزقَ بأداءِ حَقِّ اللهِ مِن المالِ، وصَرْفِه إلى مَن يَقرُبُ منه في رحِم، وإلى غيرِه مِن مِسكينٍ وابنِ سَبيلٍ[2]، وفي مناسبةِ الآية لما قبلها إيماءٌ إلى أنَّ بسطَ الرِّزق من أسبابه إيتاءُ ذوي القربى والمسكين وابن السبيل حقوقَهم من مال الله تعالى المبسوطِ لعباده، وهو خيرٌ مِن جَمْعِه ومضاعفته.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَـَٔاتِ﴾: (أتي) أصلُ الإيتاءِ: الإعْطاء، وآتَى يُؤاتي إيتاءً، وآتاهُ إيتاءً، أي: أعطاه، ويُقالُ: لِفُلانٍ أَتْوٌ، أي: عَطاءٌ، وآتاهُ الشَّيْءَ، أي: أعطاه إيّاه، وآتاهُ على الأمْرِ: طاوَعَه[3]، والإيتاءُ: مُسْتَعارٌ للإنعام بالحالَةِ النّافِعَةِ؛ لأنَّ شَأنَ الإعْطاءِ أنْ يَكُونَ تَمْكينًا بالمَأْخُوذِ المَحْبُوبِ[4]، والمُؤاتاةُ: حُسْنُ المُطاوَعةِ، وآتَيْتُه على ذلكَ الأمْرِ مُؤاتاةً؛ إذا وافَقْتَه، وطاوَعْتُهُ[5]، والمقصودُ بالإيتاءِ في الآية: الإعْطاءُ، وهو مُشْعِرٌ بأنَّ المُعْطَى مَرْغُوبٌ فيهِ، وهو المالُ.

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 102.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 393.
(3) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (أتي).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 179.
(5) الخليل، العين، وابن منظور، لسان العرب: (أتي).

2) ﴿ٱلْقُرْبَىٰ﴾: (قرب) أصلٌ يَدُلُّ على خِلافِ البُعْدِ، يُقالُ: قَرُبْتُ منه أَقْرُبُ، وقَرَّبْتُهُ أُقَرِّبُهُ قُرْبًا وقُرْبانًا، ويُستعمل ذلك في المكان، وفي الزَّمان، وفي النِّسبة، وفي الحظوَة، والرِّعاية، والقُدْرَة[1]، والقُرْبَةُ: الوَسيلَةُ وكُلُّ ما يُتَقَرَّبُ بِهِ[2]، والتَّقَرُّبُ: التَّدنّي والتَّواصل بحقٍّ أو قَرابةٍ، والقُرْبانُ: ما تَقَرَّبْتَ به إلى اللّه تعالى تبتغي به قُرْبًا ووسيلة[3]، وذُو القُرْبَى: صاحِبُ القَرابَةِ، والقُرْبَى فُعْلَى، اسمٌ للقُرْبِ مصدرُ (قرب) كالرُّجْعَى، والمُرادُ بالقُرْبى هنا: قُربُ النَّسَبِ والرَّحِمِ[4]، وحقُّهم: حُسنُ المُعاملةِ في الصِّلةِ والبِرِّ[5].

3) ﴿وَٱلْمِسْكِينَ﴾: (سكن) أَصْلُ الكلمةِ مِنَ السُّكونِ، وهو الهُدُوءُ والثَّباتُ، ومنه سُمّيَ المِسْكينُ بذلك؛ لِسُكُونِهِ إلى النّاسِ، أو لأنَّ الفَقْرَ أَسْكَنَهُ، أيْ: قَلَّلَ حَرَكَتَهُ[6]، والجَمْعُ: مساكينُ، والمِسْكينُ: مَن لا يَمْلِكُ شَيْئًا، وقيل: الَّذي ليس له ما يَكْفيهِ، يُقالُ: تَمَسْكَنَ الرَّجُلُ، أيْ: صارَ مِسْكينًا[7]، ويأتي المِسْكينُ بِمعنى الذَّليلِ والخاضِعِ والضَّعيفِ، وتَمَسْكَنَ الرَّجُلُ لِرَبِّهِ؛ إذا تَواضَعَ، وذَلَّ، والمَسْكَنَةُ: الفَقْرُ والحاجَةُ[8]، والمُرادُ بالمسكين هنا: المُعْدمُ الَّذي لا مالَ له[9]، وحقُّه: سَدُّ خَلَّتِهِ.

4) ﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾: (سبل) أَصْلٌ يدُلُّ على إرسالِ شَيءٍ مِنْ عُلُوٍّ إلى سُفْلٍ، وكذلك على امْتِدادِ شيءٍ، فالأوَّلُ مِنْ قيلِكَ: أَسْبَلْتُ السِّتْرَ، وأَسْبَلَتِ السَّحابَةُ ماءَها وبِمائِها، وأمّا الثّاني؛ فالمُمْتَدُّ طولًا: السَّبيلُ وما وضَحَ مِنْهُ، وهو الطَّريقُ؛ سُمّيَ بذلكَ لامتدادِهِ[10]، يُذكَّرُ، ويُؤَنَّثُ، والتَّأنيثُ أغلَبُ، والسّابِلَةُ هم الَّذين يَسلكُون السُّبُلَ، وسَبيلُ اللّهِ: طَريقُ الهُدى الذي دَعا إليه، وجمعُه: سُبُلٌ[11]، وابنُ السَّبيل هنا: المُسافرُ المُجتازُ بالقَرْيةِ أو بالحَيِّ[12]، وحَقُّه: الضّيافةُ.

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (قرب).
(2) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (قرب).
(3) الخليل، العين: (قرب).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 103.
(5) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 103.
(6) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللّغة: (سكن).
(7) الجوهريّ، الصّحاح، وابن سيده، المحكم: (سكن).
(8) ابن الأثير، النّهاية، وابن منظور، لسان العرب: (سكن).
(9) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 21/ 51.
(10) ابن دريد، جمهرة اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (سبل).
(11) الخليل، العين، وابن دريد، جمهرة اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب: (سبل).
(12) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 103.

5) ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: (فلح) أصلٌ يَدُلُّ على فَوْزٍ وبَقاءٍ، والفَلاحُ: الفوز، والنَّجاة، والبَقاء، والسَّحُورُ، قالُوا: سُمّيَ فَلاحًا؛ لِأَنَّ الإنْسانَ تَبْقَى مَعَهُ قُوَّتُهُ على الصَّوْمِ، يقول الرَّجُل لامرأته: اسْتَفْلِحي بأمرك، أي: فُوْزي بأمرك[1]، والفلاحُ أيضًا: النَّجاحُ بِحُصُولِ المَطْلُوبِ، والخَيْبَةُ ضِدُّهُ، يُقال: أفْلح، وأنجح؛ إذا أدْرك مَطْلُوبه، ومِنْه حَيَّ على الفلاح[2]، والمقصود بالفلاحِ في الآيةِ: الفَوْزُ بالبُغْيَة بعد سعيٍ للحصول عليها.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

إيتاءُ ذوي القربى والمسكينِ وابنِ السَّبيلِ حقَّهم سبيلُ الفلاحِ في الدّارين

فأعطِ - أيُّها الرسول الكريم - ذا القربى حقَّه مِنَ المودَّة والصِّلة والإحسان، وليَقتدِ بكَ في ذلك أصحابُك وأتباعك، وأعطِ أيضًا المسكين - الذي لا يملك شيئًا ذا قيمة - حقَّه من الصَّدقة والبرِّ، وكذلك ابنَ السَّبيلِ: وهو المسافر المنقطعُ عن ماله في سفره، ولو كان غنيًّا في بلده، فذلك الإيتاء لهؤلاء الثَّلاثة - الذين تقدَّم ذِكرُهم - من فعل الخير الَّذي يتقبَّله اللّٰه تعالى، ويرضى عن فاعليه، ويعطيهم جزيل الثَّواب، وأولئك قد ربحوا في صفقتهم، فأعْطَوا ما يفنى، وحَصَلوا على ما يبقى، من النَّعيم المُقيم، والخير العميم، وأولئك المتَّصفون بتلك الصِّفات الحميدة، هم الكاملون في الفلاح، والظَّفر بالخير في الدُّنيا والآخرة[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

نوعُ الفاء ودلالتُها:

الفاءُ تحتمل أن تكون تفريعيَّةً أو فصيحة

الفاءُ من قوله تعالى: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ﴾ إمّا أن تكونَ للتَّفريع، وهي تُفيد أنَّ الكلام بعدَها مُترتِّبٌ على ما قبلها، وإمّا أن تكون

(1) الجوهريّ، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (فلح).
(2) ابن دريد، جمهرة اللّغة: (فلح).
(3) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 21/ 52، وطنطاويّ، التّفسير الوسيط: 11/ 89.

فصيحةً؛ لأنَّها أفصحت عن مُقدَّرٍ، تقديره: إن عرفتَ أنَّ السَّيِّئة أصابتهم بما قدَّمت أيديهم؛ فآتِ، أو إذا كان الأمر كما ذُكِر، من أنَّ بَسْطَ الأرزاق وقَبْضَها بيدِ الله وحده، فأعطِ ذا القربى حَقَّه منَ المودَّة والصِّلة والإحسان، وليقتدِ بك في ذلك أصحابُك وأتباعك[1].

غرضُ الأمرِ وبلاغته:

إذا بسَطَ اللهُ الرِّزقَ؛ فلا يُنقصُه الإيتاءُ وإذا قَدَرَه؛ فلا يزيدُه الإمساكُ

صيغةُ الأمر في قوله تعالى: ﴿فَـَٔاتِ﴾، الأصلُ في مَحْملها الوجوب، مع أنَّ المأمور بإيتائه عبَّر عنه بأنَّه حَقٌّ، والأصل في الحَقِّ الوُجوب، وظاهر الآية يقتضي أنَّ المُراد حَقٌّ في مال المُؤْتي[2]، فالأمرُ للوجوب، ولم يصرفه صارفٌ[3]، فلا ينبغي أن يَتوقَّفَ الإنسانُ في الإحسانِ، فإنَّ اللهَ إذا بسَطَ الرِّزقَ؛ لا يَنقُصُ بالإنفاقِ، وإذا قَدَرَ؛ لا يَزدادُ بالإمساكِ[4].

فائدة خِطاب الإفراد دونَ الجمع:

تعيينُ القدوةِ وحضُّ النُّخبةِ على التَّأسّي

الخطابُ في قوله تعالى: ﴿فَـَٔاتِ﴾ لسيِّد الخَلْقِ[5] صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم بالأصالة، ولغيره منَ المُؤمنين المُوسرين بالتَّبَعِ على سبيل التَّأسّي به، فخطابُ النَّبيِّ ﷺ خطابٌ لأمَّته ما لم يكن خصّيصًا له[6]، أي: فآتُوا ذا القُربى حقَّه، بقرينة قوله: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ﴾[7]، ووجهُ تخصيصه ﷺ بالخِطاب بقصد تعظيمه وجَعْلِه أسوةً للمؤمنين.

بلاغةُ المجاز في استعمال مفردة الإيتاء:

وفرةُ المعاني وإيجازُ الألفاظِ طريقةُ القرآنِ في استعمال المفردات

الإيتاء حقيقةٌ في إعطاء الأشياء، ومجازٌ شائع في التَّمكين مِنَ

(1) طنطاويّ، التَّفسير الوسيط: 11/ 88.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 21/ 102.
(3) ملّا حويش، بيان المعاني: 2/ 448.
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 102.
(5) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 15/ 98.
(6) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 15/ 144.
(7) الشِّهاب الخفاجيّ، عناية القاضي وكفاية الراضي: 7/ 393، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 21/ 102.

الأمور المعنويَّة، كحُسْن المُعاملة والنُّصرة، ومنه قولُ النَّبيِّ ﷺ: «ورجلٌ آتاهُ اللّهُ القرآنَ، فهو يقوم به آناءَ اللَّيلِ وآناءَ النَّهار»[1]، وإطلاقُ الإيتاءِ في قوله تعالى: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ صالحٌ للمعنيَين، كما هي طريقة القرآن في توفير المعاني وإيجازِ الألفاظ، وقد بَيَّنت أدلَّةٌ شرعيَّةٌ حقوقَ ذوي القُربى ومراتبَها، من واجبة مثل بعض النَّفقة على بعض القرابة، وشروطُها مبيَّنةٌ عند الفقهاء، ومن غير واجبة مثل الإحسانِ والبرِّ.

سِرُّ التَّعبيرِ بالإيتاءِ دون الإعطاءِ:

إرشادُ المُتصدِّق إلى اليُسر في التَّصدُّقِ دونَ عَنَتٍ أو ضَيق

جاء استعمالُ مفردة الإيتاءِ في قولِه تعالَى: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ﴾، دون الإعطاءِ؛ لأنَّ الإيتاءَ دالٌّ على المجيءِ بسهولةٍ ويُسْرٍ[2]، وقدْ خُصَّ هذا الفِعْلُ بدفعِ الصَّدقةِ الواجبةِ حيثُما وردَ في القرآنِ الكريم[3]، وعليهِ فالآيةُ تُرشِدُ إلى أن تكونَ الصَّدقةُ مُؤدّاةً بيُسرٍ وسُهولةٍ، دون شعورٍ بعَنَتٍ وضيق، أمّا فعلُ الإعطاءِ؛ فإنَّه "اتِّصال الشَّيْء إلى الآخذ لَهُ، فقد تُعْطي زيدًا المالَ؛ ليَرُدَّهُ إلى عَمْرو، وتعطيه؛ ليَتَّجرَ لك به"[4]، أي: إنَّ المُعْطَى يُعاد إلى المُعطي، وهذا ليسَ متعيِّنًا في فعلِ الإيتاءِ، فإنَّ الصَّدقة بمنزلةِ الهِبَةِ، فلا تُعادُ، والإيتاءُ مُشْعِرٌ بأنَّ المُعطَى مالٌ، ويقوّي ذلك وقوعُ الآية عَقِبَ قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾[5].

بلاغةُ التَّنوُّعِ في دلالاتِ مفردة الحقِّ:

من مظاهر إعجازِ المفردةِ القرآنيَّة إعطاءُ دلالاتٍ متنوِّعةٍ في سياقٍ واحد

بيَّن النَّظمُ الكريمُ أنَّ لِكُلِّ صنفٍ منَ الأصنافِ الثَّلاثةِ المذكورة في قولِهِ تعالى: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ حقًّا،

(1) أخرجه البخاريّ في صحيحه، برقم: (7232)، ومسلم في صحيحه، برقم: (266).
(2) الرَّاغب، المُفردات: (أتى).
(3) السَّمين الحلبيّ، عُمدة الحفّاظ: (أتي).
(4) العسكريّ، الفروق اللُّغويّة، ص: 167.
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 21/ 102.

فحَقُّ ذي القُربى يختلف بحسب حاجته، فَلِلْغَنيِّ حَقُّه في الإهداء تَوَدُّدًا، وللمحتاج حقٌّ أقوى، والظّاهر أنَّ المُراد ذو القَرابةِ الضَّعيف المال، الذي لم يبلغ به ضعفُه مبلغَ المَسكنة، بقرينة التَّعبير عنه بالحقِّ، وبقرينة مُقابلته بقوله: ﴿لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾، على أحد الاحتمالات في تفسيره، وحَقُّ المسكين سَدُّ خَلَّتِه، وحَقُّ ابنِ السَّبيل: الضّيافة[1]، فهذه الحقوقُ مختلفة من حيثُ الماهيَّةُ، متنوِّعة بحسب الاحتياج، ومفردة الحقِّ قد أتت عليها بتنوُّعها، وتباينِ معانيها.

بلاغةُ ترتيب الأصنافِ المذكورة:

رَتَّبَ النَّظمُ الكريم ذِكْرَ أهلِ الحقوق في قوله تعالى: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِۚ﴾ بادئًا بذي القُربى؛ لأنَّه أحقُّ النّاس بالبرِّ، وللاهتمام به، ولأنَّ برَّهُ صَدقةٌ وصِلَةٌ، ولمّا كان المسكينُ حاجتُه ليست مختَصَّةً بمَوضِعٍ، كان مُقَدَّمًا على مَن حاجتُه مختَصَّةٌ بموضِعٍ دونَ مَوضِعٍ[2]، فجاء التَّرتيب بحسب العنايةِ والاحتياج.

التَّرتيبُ بناءٌ لفقه الأولويّات وسُلَّمِ الضَّروريّات

توجيهُ المخصوصِ بالذِّكر:

خصَّ النَّظمُ الكريم الأصنافَ الثلاثة بالذِّكر في قوله تعالى: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِۚ﴾ دون غيرهم؛ لبيان من يجب الإحسانُ إليه على كُلِّ من له مالٌ، سواءٌ كان زكويًّا أم لم يكن، وسواء بعد الحول أم قبلَه؛ لأنَّ المقصود توريثُ الشَّفقةِ العامَّة، وهؤلاءِ الثَّلاثةُ يجب الإحسانُ إليهم بهذا الاعتبار، فأحدُهم صلتُه ثابتةٌ، وهو القريب، والإحسان إليه يورِّث قوَّةَ العلاقة وتمامَ الصِّلة، والثّاني صلتُه متوسِّطةٌ، وهو المسكين، والإحسان إليه يورِّث الشَّفقةَ وحُبَّ المساكين، والثّالثُ الإحسانُ إليه منقطعٌ، فهو لمرَّة واحدة، وهو ابن السَّبيل، فأتتِ الأصنافُ الثَّلاثة على جميع الأحوال والأنواع.

لا يخرُجُ إيتاءُ الخيرِ عن كونه ثابتًا ومتقطِّعًا ومنقطعًا

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 21/ 103 - 104.

(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 102، وأبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 391 - 392.

بلاغةُ المجاز في التعبير بـ﴿وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۖ﴾:

إضافةُ المُسافرِ للسَّبيل لبيانِ احتياجه

المُراد بابن السَّبيل المُسافرُ؛ لأنَّه إنَّما وصل منَ السَّبيل، وهي الطَّريق، وجَعْلُ المُسافرِ ابنًا له لِلُزومِه إيّاهُ، كما يُقال لطير الماء: ابنُ الماء، ويُقال للرَّجل الذي أتت عليه السُّنونُ: ابن الأيام، وتسميتُه بابن السَّبيل لمُلازمته الطَّريقَ، مثل لزوم الولد لوالدته، وهذا مِنَ المجاز العقليِّ، وهو من باب تسمية الحال باسم المَحلِّ، وذلك لكون المسافر موجودًا في السَّبيل.

معنى الإضافةِ ودلالتُها:

ابنُ السَّبيل خفيفُ المؤنةِ قصيرُ المدَّة

أُضيف لفظُ الابن إلى لفظِ السَّبيل، والإضافةُ بمعنى الظَّرفيَّة، أي: موجودٌ في السَّبيل، وهو بيانٌ لِخِفَّة مؤنته، فهو ضاربٌ في الأرض، وليس قاصدًا المكوثَ والتَّطويلَ في الموضع الذي نزل فيه، وهذا معنًى ينشِّط النُّفوسَ لخِدمته والعنايةِ به.

علَّةُ فَصْلِ الجملةِ عمّا قبلها:

تعليلُ إيتاءِ الحقوقِ لأصحابِها معينٌ على العطاء

فُصِلت جملة: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ﴾ عمّا قبلَها؛ للاستئناف البيانيِّ، على افتراض أنَّ سائلًا قد سأل عن سببِ الأمر بإيتاء أولئك حقَّهم، فكان الجواب: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ﴾، ويحتمل كذلك معنى التَّعليل، أي: آتِ هؤلاء حقَّهم؛ لأنَّه خيرٌ للذين يبتغون وجهَ اللهِ تعالى في أعمالِهم التي يُقدِّمونها.

نُكْتَةُ استعمالِ اسمِ الإشارة للبعيد:

التَّنويهُ بالإيتاء عالي الرُّتبة شريف القَدْرِ

استُعمِل اسمُ الإشارةِ في قولِه تعالى: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾؛ للتَّنويهِ بالمأمورِ به[1]، فلمّا أمر بالإيتاء؛ رغَّب فيه، فقال: ﴿ذَٰلِكَ﴾، أي: الإيتاءُ العالي الرُّتبة[2]؛ لهؤلاء الثَّلاثة، خيرٌ وأبقى عند الله تعالى؛ للذين يريدون بصَدَقتهم وإحسانِهم وجهَ الله[3].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 21/ 104.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 15/ 99.
(3) طنطاويّ، التَّفسير الوسيط: 11/ 90.

توجيهُ استعمالِ مفردة ﴿خَيۡرٌ﴾:

لفظ ﴿خَيۡرٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ﴾ استُعمل إمّا للتَّفضيل، ولم يسبق ذِكرُ المُفضَّل عليه نصًّا، فيكون ما يُفهم مِنَ السّياقِ من تفضيلِ إيتاءِ الحقوقِ لأصحابها، مِنَ الاستحواذ على المالِ عند بَسْطِهِ ممّا أُشيرَ إليه في السِّباق، أو المُرادُ: ذلك خيرٌ مِن بذل المال في المُراباة التي تذكر بعدُ في قوله: ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا﴾، وإمّا لغير معنى التَّفضيلِ، فالمُراد بلفظ ﴿خَيۡرٌ﴾ ما قابل الشَّرَّ، أي: ذلك فيه خيرٌ للمُؤمنين، وهو ثوابُ الله[1].

لفظ (خير) إمّا لمعنى التَّفضيل وإمّا لمعنى ما يُقابِلُ الشَّرَّ

سِرُّ التَّعبيرِ باسم الموصول في قوله: ﴿لِّلَّذِينَ﴾:

جاء التَّعبيرُ بالاسم الموصول، في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ﴾، وذلك أنَّ صلة الاسم الموصول أفادت معنى التَّعليل، أي: ذلك الإيتاءُ خيرٌ، ويقوم به المؤمنون؛ لأنَّهم يريدون بأعمالهم وجهَ الله تعالى، ففيه تنبيهٌ على إخلاص النِّيَّة، وتحقيقِ المطلوب.

الإشارةُ إلى مَن قُصِدَ بالخطاب ابتداءً وكلُّ مَن تأسّى به نالتْهُ بركتُهُ

نُكْتَةُ استعمالِ مفردة الإرادة مادَّةً وصيغةً:

آثرَ النَّظمُ الكريم استعمالَ مفردة الإرادة، في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ﴾، والمُراد بالإرادة: قصدُ الأعمال الصّالحة الَّتي حثَّ اللّهُ عليها، أو رغَّبَ فيها، باستحضار النِّيَّة الصّالحة الَّتي يُثيب اللّهُ عبادَه عليها، ومجيء الإرادة في الآية بصيغة المُضارعة فيه إشارةٌ إلى ضرورة تجديد إخلاصها، وتعاهده في كلِّ الأعمال والأوقات، فكلَّما كان الإنسان أخلصَ في إرادة وجه الله؛ كان أكثرَ خيرًا له[2].

تمكينُ النِّيَّة الصّادقة مع تجديدها هي سِرُّ الفوز بالرِّضوان

بلاغةُ اجتماعِ الكناية والتَّعريض:

في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ﴾ أُضيف الوجهُ إلى لفظ الجلالة، وهو كنايةٌ عن إرادة رضوان الله تعالى، وتعريضٌ بأهل

طلبُ رضوانِ الله تعريضٌ بمَن طلب رضوانَ غيرِه

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 21/ 104.
(2) العثيمين، تفسير سورة الرُّوم، ص: 227.

الجاهليَّةِ الذين كانوا يريدون بإعطائهم وجهَ المُعْطَى من أهل الوجاهة في القوم، فجَعَل الإعطاءَ لوجه الله[1] هو الأليقُ بالإعطاء؛ لبقاء خيرِه، وديمومة شكره، وفي ذِكْرِ الوجه إشارةٌ إلى رؤية الله ﷻ يومَ القيامة، كما ثبت ذلك في القرآن والسُّنَّة وإجماعِ السَّلف[2].

فائدةُ التَّعبير باسم الإشارة للبعيد:

بيانُ عُلُوِّ رتبةِ المؤمنين المنفقين

جاء استعمالُ اسمِ الإشارة للبعيد (أولئك) في قولِه تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾؛ لبيانِ رُتبةِ المؤمنين المُنْفِقين العالية؛ لغناهم عن كُلِّ فانٍ[3]، فهم الذين يُريدون بما أنفقوا وجهَ الله.

فائدةُ القَصْر بتعريف الطَّرفين:

المنفقون مخصوصون بكمال الفلاح ورفعة المنزلة

في قولِه تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ قصْرٌ إضافيٌّ، وذلك بتعريف الطَّرفين وتوسُّط ضَميرِ الفَصْلِ، والمعنى: أولئك المُتفرِّدونَ المقصورون بالفلاحِ، وهو نجاحُ عَمَلِهم في إيتاءِ مَن ذُكِرَ لوجْهِ اللهِ تعالى، لا للرّياءِ والفخْرِ، فمَن آتَى للرّياءِ والفخْرِ؛ فلا فلاحَ له مِن إيتائِه[4]، فهم خاصَّةُ المفلحين الذين لا يشوب فلاحَهم شيءٌ منَ الخيبة، وأمّا غيرُهم؛ فخائبٌ، أمّا إذا لم ينفق؛ فواضحٌ، وأمّا مَن أنفق على وجه السُّمعة والرّياء؛ فإنَّه خَسِرَ مالَهُ، وأبقى عليه وبالَه[5]، فالقَصْر بالنِّسبة إلى كمال الفلاح دونَ أصل الفلاح[6].

معنى تعريفِ ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾:

للدّلالة على أنَّهم الكاملون في الفلاح والظَّفر بالخير

تعريف لفظ ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾؛ لبيان أنَّهم الكاملون في الفلاح والظَّفر بالخير في الدُّنيا والآخرة، فهم الظّافرون بما يريدون، والفائزون بنعيم الآخرة.

---

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 21/ 104.
(2) العثيمين، تفسير سورة الرُّوم، ص: 227.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 15/ 99.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 21/ 104، 105، والجيلانيّ، تفسير الجيلانيّ، ص: 283.
(5) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 15/ 99.
(6) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 15/ 146.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الطريقُ والسَّبيلُ والصِّراطُ:

السَّبيل الطَّريق
السَّهل والصِّراط
مـا اسـتـقـام
مـن الـطَّـريـق
والطَّريق أعمُّ

الطَّريقُ: هو كُلُّ ما يَطْرُقُهُ الطّارِقُ مِنَ النّاسِ، مُعْتادًا كانَ أو غيرَ مُعْتادٍ[1]، قال تعالى: ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ۝٧٧﴾ [طه: 77].

أمّا السَّبيلُ؛ فهُوَ الطَّريقُ السَّهْلُ؛ وأغْلَبُ ما يَقَعُ في الخَيْرِ، وقَدْ يَقَعُ في الشَّرِّ، كَقَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٥٥﴾ [الأنعام: 55].

أمّا الصِّراطُ؛ فَهُوَ السَّبيلُ الذي لا اعْوِجاجَ فيهِ ولا التِواءَ.

فالفَرْقُ بَيْنَ الطَّريقِ والسَّبيلِ: أنَّ الطَّريقَ لا يَقْتَضي السُّهُولَةَ واعْتيادَ السُّلوكِ[2]، أمّا السَّبيلُ مِنَ الطُّرُقِ؛ فَهُوَ السَّهْلُ المُعْتادُ.

والفَرْقُ بَيْنَ السَّبيلِ والصِّراطِ: أنَّ الصِّراطَ لا اعْوِجاجَ فيهِ[3]، قالَ اللّه تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: 161]، فالصِّراطُ أخَصُّ مِنَ السَّبيلِ، قال تَعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام: 153]، والسَّبيلُ أخَصُّ مِنَ الطَّريقِ[4]، وقَدْ يُطْلَقُ كُلٌّ مِنْها على الآخَرِ تَوَسُّعًا.

(1) الكَفَويُّ، الكُلّيّاتُ، ص: 513.
(2) العَسْكَريُّ، الفُروقُ اللُّغَويَّةُ، ص: 298.
(3) الكَفَويُّ، الكُلّيّاتُ، ص: 513.
(4) المَناويُّ، التَّوقيفُ على مُهِمَّاتِ التَّعاريفِ، ص: 215.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والأربعون،
سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والأربعون، سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 43 ، 816 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-94-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 43 : المجلد الثالث والأربعون، سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-94-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9381682 بتاريخ 2024/12/31م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»